

أسطورة المرأة العربية في تصورات الناقدة نوال السعداوي

The myth of the Arab woman in the perceptions of critic Nawal El Saadawi

⁽¹⁾ د/فاطمة الزهراء بكوش Fatmazohra.bekouche

⁽¹⁾ جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله) Abou el Kacem Saâd Allah Université d'Alger 2

البريد الإلكتروني: Fatmazohra.bekouche@univ-alger2.dz

المؤلف المرسل: د/فاطمة الزهراء بكوش Fatmazohra.bekouch

تاريخ الاستلام: 2026/04/19 تاريخ القبول: 2026/05/23 تاريخ النشر: 2026/06/10

الملخص: نتناول في هذا المقال موضوع تصورات الناقدة نوال السعداوي حول أسطورة المرأة العربية، التي تسعى لاستعادة مكانتها في المجتمع الذكوري أو الأبوي؛ والتي تأبى كذلك أن تخضع لسلطته، وتعيش معه في القهر والظلم -حسبها- حتى ولو على حساب زوال القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية، وكل ما يعيق حركة تحرر المرأة، بعيدا عن عبودية الرجل وخالق البشرية. المهم في هذه الدراسة أن نكشف للقارئ من أعمال هذه الأدبية، ما تعتبره من إبداع في وصف وضعية المرأة العربية المعاصرة، وما تعانيه من محن؛ لكن بطريقة تدعو إلى الدهشة والحيرة من أمر طرحها للموضوع في تأويلات استثنائية، نكاد نجزم بأنها خرجت عن سياج التفكير الحر والإيجابي، لما يريد المجتمع تحقيقه من سعادة للمرأة قبل الرجل؛ والأسرة والمجتمع. ومع ذلك سنحاول البحث في أعمال الناقدة لكل شيء ودون شيء، وما ترتب عنها من ردود استباقية، هل كانت تصوراتها ضمن محور العقلانية الإبداعية أم لا ؟

الكلمات المفتاحية: المرأة العربية؛ الأسطورة؛ الدين؛ المجتمع؛ القيم .

Abstract:

This article examines Nawal El Saadawi's perceptions of the myth of the Arab woman, who strives to reclaim her place in a patriarchal society. She refuses to submit to its authority and live under oppression and injustice—as she sees it—even at the cost of the erosion of moral, religious, and social values, and everything that hinders women's liberation from the servitude of men and the Creator of humanity. The main purpose of this study is to reveal to the reader, through El Saadawi's works, what she considers creative in describing the situation of contemporary Arab women and the hardships they endure. However, her approach to the subject is surprising and perplexing, offering exceptional interpretations that almost seem to stray from the bounds of free and positive thought, particularly regarding the happiness society seeks for women, as well as for men, families, and society as a whole. Nevertheless, we will attempt to explore the works of this critic of everything and nothing, and the resulting preemptive responses, to determine whether her perceptions fall within the realm of creative rationality.

Keywords: Arab woman; myth; religion; society; values.

1. مقدمة:

من خلال عنوان المقال الذي هو: "أسطورة المرأة العربية الحرة في تصورات الناقدة نوال السعداوي"؛ سنحاول في البداية قراءة شخصية نوال السعداوي (1930_2021م) "كامرأة مثقفة تمثل النخبة المفكرة، أي من خلال أعمالها حول قضايا المرأة العربية. والتي يقال عنها تدخل ضمن المشاريع الحداثية المعاصرة، أو في دائرة التأويلات المعاصرة في مجال الأدب والثقافة والفنون وما شابه ذلك. فكل هذا الزخم من الأعمال الأدبية والفنية؛ حاولت إثبات جدارتها في حل مشكلات المرأة بالطريقة العصرية المبدعة، باسم مواكبة التحضر في إطار ما يُعرف بالحديث عن المسكوت عنه الذي بسببه لم تتحقق النهضة المنشودة. وهكذا كثر الحديث عن حق المرأة في اختيار نمط عيشها، وأن الألوان أن تستعيد مكانتها الاجتماعية كما كانت من قبل. ونحن لسنا بصدد نقد هذه الأطروحة، ولكن لنا الحق وكل الحق أن ننظر في الطريقة التي عاجلت بها الناقدة الراحلة نوال السعداوي دور المرأة العربية المنتجة داخل الأسرة و المجتمع والدولة، قد تتكرر في كل مناسبة مثل: الحرية الفردية، والعمل، والتربية والتعليم. لكن بنظرها الناقدة بشدة، لنظهر بعدها مدى تأثير هاته الشخصية في الحياة الفكرية العربية الراهنة حول علاقة المرأة بالبيئة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ونضالها المتواصل للحصول على حريتها. والذي يهّمنا في الموضوع، هو الإجابة عن الإشكالية الآتية:

-هل استطاعت الناقدة الراحلة نوال السعداوي في ضوء أعمالها الفكرية والأدبية أن تقدّم حلولاً لمشكلات المرأة العربية المعاصرة، لاسيما النضال من أجل تحصيل سعادتها، واستعادة مكانتها بكرامة؟

وبمعنى أدق: هل يمكن اعتبار تصوّرات نوال السعداوي الأدبية والفنية مشروعاً حضارياً ناجحاً لاستعادة المرأة العربية مكانتها الأسطورية الضائعة؟

من الأهداف المرجوة بعد تناولنا لهذا الموضوع:

-التعرّف على شخصية الناقدة الراحلة نوال السعداوي من خلال أعمالها الأدبية، لاسيما حول قضايا المرأة العربية المعاصرة.
-إبراز أهمية دور المرأة العربية، وقدرتها على التأثير الإيجابي في أسرتها ومجتمعها، واستعادة مكانتها الاجتماعية إن أرادت ذلك رغم التحديات والظروف.

- حاجة المرأة العربية اليوم الى استراتيجية جديدة في التغيير المتزن إذا أرادت مواكبة العصرية والتحضر.

- إظهار عيوب تصوّرات الناقدة نوال السعداوي التي فشلت في وصف مشاكل المرأة العربية الحقيقية بالمنهجية المطلوبة.

قد لا يخطر على فكر بشر؛ أننا نستخدم المنهج التحليلي النقدي، ثم الوصفي التركيبي، لأجل الإجابة عن الإشكالية من جهة. وكذلك كيف ستجيب الناقدة الراحلة نوال السعداوي بالطريقة المعهودة، على أنها تلك المرأة النافعة والمنتجة، والقائمة على أعمالها المهنية بتفاني وإخلاص، وغيرها من الإجابات القريبة من العاطفة. وربما ستكون الصدمة، إذا قلنا أنّ المرأة العربية المعاصرة اليوم، إذا أرادت أن تستعيد مكانتها الاجتماعية المرموقة، وتكون صالحة لأسرتها ومجتمعها، وبنظرتها تلك؛ فلن تكون الإجابة على المراد المأمول، لذلك نحاول من خلال هذا المقال، أن نفهم فكر هذه الشخصية الجريئة والناقدة المتميزة في تفسيرها للمشكلات النفسية والاجتماعية والثقافية التي تتناول دور المرأة ومكانتها في المجتمع الذكوري. ونكتشف غرائب تصوّراتها، وهي تطالب بسلخ المرأة العربية الأصيلية من قيمها، كشرط أساسي لإحراز الرغبة في السيطرة على سيادة الرجل والقيم والأعراف والقوانين البشرية، وبنوع من الازدراء والسخرية والتحدي، تستخدم أقصى ما يمكن من أعمالها الإبداعية المفرطة، كي تلفت انتباه الجمهور إليها على أنها المدافعة عن المرأة العربية، ولها أن تفعل ما تتصوّره من هواجس دون رجعة، على أنها ملحمة امرأة عربية أسطورية في الزمان والمكان؛ يجب إعادة النظر في قراءة شؤون حياتها ككل، ونقصد هنا، قراءة الحالة النفسية والاجتماعية لنوال السعداوي نفسها. كونها بطلة المراحل الصعبة في شخصية المرأة العربية التي تريد الانتفاضة على القيم بكل أشكائها، وهذا ما نريد توضيحه فيما يلي:

2. تحليل الوضعية الراهنة للمرأة العربية.

إذا كانت الناقدة نوال السعداوي تتساءل: من هي المرأة المقصودة لنتحدث عنها، فلكل عنوان دليل؟

والجواب: يكون عندما نتحدث عن المرأة ككل، والمرأة العربية خاصة، فإنّ البعض يلمح من بعيد الى فكرة اضطهاد المرأة وحرمانها من الحقوق، وأنها تقف في موضع سيئ للغاية، فهي معلمة شيطان وهو تلميذها، وأنها فتنة، وأنها تنتصر بالبكاء وتنهزم بالضحك، وأنها خير وبركة وملاك. أو هي شرّ مبين وسبب الخطيئة، لا يمكن الوثوق بها. وهي عدوة الرجل، وخائنته تارة، و هي نصف دينه وحاضنة أولاده، وركيزة بيته وعموده تارة أخرى، المهم أنّ المرأة في كل الأحوال موصوفة بكل ما يتصوّره الرجل والمجتمع عنها من حسن ومدح، أو قبح وهجاء لا ينقطعان أبداً.

لقد وقف معنا الحظ؛ عندما التقينا بعض الأستاذات في اليوم العالمي للمرأة العام الماضي، وهن يتحدثن عن عدو المرأة في الحياة. وبلغ من الأمر نعت المرأة من جهات معينة، بأسوأ ما يمكن تصوره عنها. وجاء دورنا لمعرفة موقفنا من القضية ككل. ودون لف أو دوران؛ فقد طرح علينا السؤال الآتي: ما موقفكم من المرأة؟ وكان جوابنا بسؤال مماثل: عن أي امرأة سنتحدث؟

زاد الفضول أكثر لبعض الحاضرين عن سؤالنا الغريب، وكان الرد: ما معنى هذا السؤال؟ قلنا مرة أخرى هل سنتحدث عن هذه المرأة بصفتها: "أم" أو "أخت"، أو "زوجة"، أم "ابنة"، أم جدة وخالة وعمّة، ومعلّمة وطالبة، حتى نصفها القول في المدح بدل الذم؟ ثم زاد الفضول أكثر؛ والشوق في الحديث عن المرأة من كل ناحية. والشوق أكثر لمعرفة الحكمة من التفصيل في حياة المرأة ككائن ثلاثي الأبعاد. لم ننتبه للوقت وهو يمر سريعاً، لكن الافتراق لم يكن سهلاً لتبرير ما في السؤال من عبرة؛ إذ الحكمة من هذا التصور الفلسفي البسيط، أنّ حياة المرأة تسير بعجلة متماسكة، في حين هي العجلة التي تحرك أيضاً الرجل معها. فما من مرحلة من مراحل حياة المرأة منذ الولادة، وهي تقابل جزء من أجزاء العجلة المحركة لها، بحيث إذا وُلد الرجل وجد أمّه، وجدته، وخالته وعمّته، ثم عاش مع أخته، وإذا تزوّج وجدها شريكه حياته، ثم يرزق بابنة له، فلذة كبده، وقرة عينه، وربما تكون هذه المرأة في المستقبل كتنّه. والعكس بالنسبة للمرأة، فمنذ وجودها؛ فهي في رعاية أبيها أو كنف جدّها أو خالها وعمّها، وستعيش مع أخيها حاميتها، ثم لتكون مستقبلاً مع زوجها، ورعاية ابنها. وهنا يحصل التواصل الضروري بين الجنسين، لا يمكن الفصل بينهما في حركة العيش، وإثبات الوجود. فكلاهما من بعضهما البعض، يعيشان حياة التجاذب تارة، وحياة التنافر تارة أخرى.

لكن ما يميز هذا التصوّر عن كينونة المرأة في الحياة، هو إثبات الشعور بها في كل مرحلة من مراحل الحياة، أو هي مجتمعة في فترة معينة، لكن تبقى المرأة ككيان بشري هي الأصل في الوجود؛ حيث إننا لو عبّرنا عن موقفنا عن المرأة، وهي الأم، قلنا عنها أنبل العبارات من التقدير لا ينافسها فيها أحد على الإطلاق، ومن كل الجوانب، وإذا عبّرنا عن موقفنا عن المرأة، هي "الأخت"، كان نصيبها من التقدير، لا يشبه تقديرنا مثلاً للخالة أو العمّة أو الجدة، ونفس الشيء بالنسبة للبنت، والزوجة. فكل فصل من فصول المرأة يحمل تقديراً مميزاً لا يشبه سابقتها من الحديث عن مزايا المرأة، كونها تمثل فصيلاً مميزاً في الحياة.

وبقدر التفاصيل التي تحملها المرأة في حياتها؛ يزيد تقديرها داخل الأسرة والمجتمع والدولة. وهكذا يتعاظم شأنها عند البعض بقدر دورها المنوط بها في النسق الاجتماعي المعهود، ويحصل لها الشرف أن تنال الدرجات الرفيعة عند من كانت سبباً عنده في تحصيل سعادته، ونيل فضائله في حياته الدنيا وحتى في الآخرة. وعليه سنحاول تقريب صورة المرأة العربية المعاصرة بنظرة المرأة نفسها، وهي تنتج

أعمالاً أدبية وفنية وروايات إبداعية، في وصف طابع حياة المرأة من كل الجوانب، ولنا في هذا المقام، أن نقدّم شخصية نوال السعداوي من خلال كتاباتها، قبل معرفة موقفها من قضايا المرأة العربية، وهي كالآتي:

3 . شخصية الناقدة نوال السعداوي في سطور:

تعتبر نوال السعداوي (ولدت في 27 أكتوبر 1930م) شخصية ناقدة ومفكرة من النساء المصريات اللواتي تركنا جدلاً كبيراً في وسط النخبة العربية المعاصرة، حول عدة قضايا التي لم يفصل فيها بعد، ما عدا السّجال التاريخي حول أحقية امتلاك الحقيقة من أي طرف كان.

وهي إلى جانب ذلك؛ طبيبة، وكاتبة وروائية ومدافعة عن حقوق المرأة بشكل خاص، فقد تخرجت من كلية الطب جامعة القاهرة؛ تقول عن نفسها: "لم تكن أسري من الأسر المصرية غير المتعلمة، كان أبي متعلماً تعليماً عالياً، بل كان "مراقباً"، وكانت أمي قد تعلّمت في مدرسة فرنسية، قبل أن يُزوجها أبوها الذي كان مديراً للقرعة العسكرية في ذلك الوقت".⁽¹⁾

وهنا بيت القصيد؛ الذي يمثل منطلق تفكير نوال السعداوي، وهو حرمانها من حياة نفسية مكتملة، على إثر الحادث الأليم في طفولتها، وتقصد بذلك عدم الحصول على جواب لأسئلتها المحيرة للغاية. ولعلّ القارئ سوف يكتشف الجواب بغربة، لكنها لم تجد الجواب، وهي غارقة في التفكير، وفي كل كتاباتها الأدبية تشير إلى الحسرة التي وقعت فيها. ولنا أن نذكر بالسؤال الذي لم تجد له جواباً، وهو: لماذا هي بنت ؟

من هذا السؤال الذي طرحته نوال السعداوي عن نفسها؛ ثم تجيب في كل كتاباتها على نفس السؤال، فتقول: "إنّ مكانة المرأة في الأسرة المصرية أقل من الرجل بصفة عامة، فإنّ نصيب المرأة من التجاهل والإهمال أكثر من نصيب الرجل، وصحة المرأة الجسدية ليست في أهمية صحة الرجل الجسدية. أمّا صحة المرأة النفسية فهذا أمر لا تفتن إليه الأغلبية الساحقة من الأسرة المصرية إلا في حالة واحدة، وهي حالة جنون المرأة الواضح، الذي يعطل المرأة عن عملها في البيت أو في الحقل أو في المصنع أو في المكتب، وتصبح بلا فائدة".⁽²⁾ وبهذا التصريح الذي يوهّم تصورات الناقدة نوال السعداوي، بالخوف من ضياع كرامة المرأة، وتردّده في كلّ كتاباتها الإبداعية، تلمح من هذه الجهة إلى القراءة النفسية للمرأة عن المرأة، كونها تناولت الموضوع من الناحية العلمية والنفسية والصحية، ثم انتقل التحليل إلى

مجالات أخرى متداخلة ومتشعبة وجد معقدة، بحيث لا يمكن للقارئ الباحث أن يقف على رأس القضية التي تتحدث عنها نوال السعداوي.

وانطلاقاً من قراءتها النفسية للمرأة، من خلال كتابها : المرأة والصراع النفسي؛ كبوابة للحديث عن مشكلات المرأة المتفرعة عن وضعية المرأة العربية، تصل الطبيبة نوال السعداوي الى قناعة كاملة الى إظهار نتيجة أبحاثها، حيث تقول: "وإذا عرفنا أن أغلبية أطباء النفس في مصر رجال، وأنهم لا يختلفون كثيراً بحكم التربية والتعليم والدين والعرف عن الرجال الآخرين من حيث نظرهم إلى المرأة".⁽³⁾ ثم تسترسل في الشرح ، فتقول : "إذا عرفنا أن أغلبية أطباء النفس في مصر (بل في العالم الأبوي كله أيضاً) على هذا النحو، فما الذي يمكن أن يفعله الطبيب النفسي لعلاج امرأة مصابة بالعصاب، خاصة إذا علمنا أنّ العصاب يصيب النساء بسبب ذلك الإحباط المستمر في طموحهن الجسدي والعقلي نتيجة ذلك المفهوم التقليدي عن أنّ المرأة أقل من الرجل جسداً وعقلاً، وأنها لم تُخلق إلا للخدمة الرجل والأطفال والطاعة والإنجاب؟"⁽⁴⁾

هذا هو السؤال؛ الذي راودها في الأحلام، طيلة حياتها، فصار مبرراً بأن تنتقم من كل من لم يجد لها جواباً مقنعاً، والبداية من أخيها، ثم أبيها، ثم كلّ ما هو ذكوري، ثم خالقها، ثم كلّ القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكل ما هو موجود في العالم، ويسلبها حق التفكير الحرّ؛ لا شيء إلا لأنها وُجِدَت على شكل "أنثى". لكنّها لن تقف إلى هذا الحد من السؤال المحيّر، ولم يساعدها أحد في إيجاد الإجابة؛ فهي أصبحت طبيبة ثم أديبة مبدعة، حيث ترجمت لنا هواجسها النفسية، ومخاوفها على مستقبلها في شكل كتابات وروايات، تتقمص فيه دور البطولة، من مشهد إلى آخر، لتبيّن للقارئ أنها قادرة على أن تصبح أسطورة العالم، رغم أنها أنثى تنافس الرجل على السيادة والقوامة في شتى الميادين. فماذا لو كانت نوال السعداوي رجلاً ؟ وماذا لو اختارت هي حريتها بنفسها ؟ وماذا لو حذفت كل القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية والقوانين الوضعية، لتبرهن لنا على ألوهيتها الأسطورية ؟

إنّ المرأة الطبيعية في تصورات نوال السعداوي، تم تحديدها كآلاتي: هي المرأة التي لم تشعر في يوم من الأيام بأي أعراض نفسية تدعوها إلى استشارة الطبيب، وعن معنى المرأة المتعلمة كآلاتي: هي المرأة المتعلمة تعليماً عالياً (جامعيّاً) أو التي تعمل في عمل فكري أو فني خلاق. أمّا المرأة غير المتعلمة فهي: المرأة التي حرمت من التعليم الجامعي، أو تعلّمت تعليماً منخفضاً متوسطاً، وتكون ربّة بيت فقط أو تعمل آلياً يدوياً روتينياً عملاً من أعمال الخدمة".⁽⁵⁾ والحقيقة التي غفلت عنها قبل الحديث عن وضعية المرأة، بأننا نحن نعيش بين سندان مفاهيمنا الثقافية الساكنة وبين مطرقة العالم المعاصر وحركته السريعة، وبالتالي فقدنا القدرة على معرفة ماذا نريد أو أننا نضع

ما نريد في مفاهيم وتصورات وأحكام، هي في الحقيقة ذات طبيعة هروبية أكثر منها وصفية أو تقويمية".⁽⁶⁾ بينما في تصوّر الشيخ مُحمّد الغزالي (1917-1996م)؛ يؤكّد بأنّ مشكلات المرأة عولجت على ضوء ملابسات نفسية أخرى؛ بينما أناس مصابون بسوء الظن وشدة الغيرة، وتصديق الأوهام.. فإذا انضم إلى هؤلاء أتباع الشائعات العلمية والآثار التافهة التي تعمل على تشويش قضية المرأة".⁽⁷⁾

ومعنى ذلك بأنّ كلّ فرد أو كلّ شخص يريد أن يمزج ذاته في المحيط الذي يتحرك فيه، بحيث لا يترك هذه الحياة إلّا وقد ترك بصمة أو أثراً، يقول "كنت هنا وما زلت هنا".⁽⁸⁾ فماذا تركت لنا نوال السعداوي من حلول حول اختيار المرأة العربية داخل محيطها الذكوري، لتعيد الريادة لها من جديد؟

ونحن نقول؛ لو بحث نوال السعداوي عن مخرجين سيميائيين عن تجسيد تصوراتها في هذه الحياة، لكان الرّد قاسياً ومستحيلاً. لأنّها ببساطة انطلقت من تجسيدها للمرأة في حالة نفسية معقدة، يستحيل فهمها بحكم أنّها لا تمثل المرأة العادية، وعليه كان من المواقف الصادمة في وصف هذه الناقدة والأديبة؛ يوجد كتاب "مسؤولية المرأة" - وهي من الآثار الكاملة للكاتب علي شريعتي، يقول فيه: "هناك امرأة من نوع ثالث، امرأة لا تقبل النموذج الموروث للمرأة، ولا تقبل النموذج المستورد الوافد من أقدر وأساء أعداء الإنسانية".⁽⁹⁾

وهي تعرف كلا النموذجين حق معرفتهما، وما يفرض عليها باسم التقاليد الموروثة لا صلة له بالإسلام، ولا هو من الإنسانية، ولا هو من الحرية في شيء، ولا هو قائم على أساس احترام المرأة، وكأنتا حسب تعبيره، وصل بنا الحال الى تهيج خلية زنايبر، ننتظر الاضطراب والفوضى الجارفة، أو موقفاً من مواقف النساء العربيات، كنّا نظنّهن تخرجن بمشروع حدائثي أصيل حول كيفية استعادة المرأة العربية زعامتها في نشئة أشبال المستقبل الذي يواصل حركية النهضة، في ظلّ التحديات المفروضة على المجتمع العربي المسلم بعد استقلاله. لكن هذه المرأة المثقفة التي ترعرعت في بيت أزهرى متعلّم ومحافظ، أنتجت لنا ما لم يكن في الحسبان، أعمال أدبية وروايات يحق لنا مراجعتها، ثم الحكم عليها بالإبداع من أجل الرقي بالمجتمع المتمدّن، خاصة في معالجة قضية المرأة العربية المعاصرة. والدليل يتمثل في قراءة بعض المقتطفات من أعمالها الأدبية و الفنية، وهي كما يلي:

4. قراءة في مؤلفات نوال السعداوي حول قضايا المرأة:

تعتبر مؤلفات نوال السعداوي كلها عن المرأة العربية ومشاكلها المعروفة داخل مجتمعتها العامي البسيط، وبالأخص المجتمع المصري اليومي؛ فهي مؤلفات لا تكاد تخرج عن دائرة صراع المرأة مع متناقضاتها، بدءاً مع نفسها والأسرة والمجتمع والدولة، أو كل ما يشغل المرأة

المصرية في حياتها اليومية. ويمكننا أن نلاحظ أعمالها على شكل روايات، بعضها تقول عنها حكايات حقيقية، وأخرى من نسج خيالها وأدبياتها المعهودة عن القهر والحرمان والشقاء والمصير المحتوم. ولم تتحدث ولو مرة عن التسامح والتفاؤل وكيفية تحصيل المرأة للسعادة، بقدر ما تصوّر لنا في كل خرجاتها الإعلامية أحيانا عن نهاية مأساوية للمرأة ليس لها من الحظ إلا التفكير فيما هو أسوأ.

إنّ أهم مؤلفات نوال السعداوي حول قضية المرأة العربية، رواية "الوجه العاري للمرأة العربية"، وسوف تكون محل دراستنا ونقاشنا للموضوع باهتمام كبير، أكثر من الروايات الأخرى، لأنها تشبه باقي كتاباتها حول مصير المرأة العربية. وبالدليل فهي تشبه نهاية روايتها "إمرأتان في إمراة"، و"المرأة والصراع النفسي" (عبارة عن دراسة لعينة من النسوة)؛ وإن اختلفتا في تسمية بطلة القصة، والقصة نفسها كذلك؛ تشبه رواية "إمرأة عند نقطة الصفر"، إلا أنّ هذه الرواية حقيقية في اعتقادها، حيث تروي نهاية إمراة أصبحت مومسة وقاتلة، كما هو حال "إمرأتان في إمراة". فنهاية مشابهة في دخول السجن، لكن وضعية إحداهن واحدة مثقفة وأخرى عادية، بينما المصير واحد في مأساؤهما داخل مجتمع متوحش، والهدف واحد أيضا. كون المرأة مهما كانت وضعيتها هي ضحية أسرة ومجتمع ودولة. فالكلّ ضدّها حتى الدين والأخلاق والجنس والسياسة وجدت من أجل تعاسة المرأة ككل، بل وتحالفت ضد تحصيل سعادتها، أو على الأقل استرداد بعض الأمل في تقرير مصيرها بنفسها، وهذا الأمر جعلته في كتاب آخر بعنوان "عن المرأة والدين والأخلاق"، حيث تظهر موقفها بحرب الكل ضد الكل.

ويبدو حسبها؛ أنّ المرأة خلقت من أجل مصيرها المحتوم، بعيدة كل البعد عن التغيير والتطور، كما جرت به المقادير أنّها تبقى دائما تحت قهر الرجل لها أو المجتمع، وها هي تضيف رواية أخرى، بعنوان "موت الرجل الوحيد على الأرض"، وفيها من المعاني عن اللعين الذي لحق بالمرأة أن تعيش حياتها في عبودية رجل عجوز طاعن في السن، فهي عنوان للزوجة المطيعة دون زيادة أو نقصان. ومجمل أعمالها الأدبية، تقول في بداية كتاباتها: "لا أجيد كتابة المقدمات، يمكن أن أكتب قصة من ألف صفحة".⁽¹⁰⁾ ونحن نتحدّى أيّ قارئ، أن يكشف الجديد والمفيد لمشكلات المرأة العربية، إن لم تشعر بأنّها أضاعت عمرها (91 سنة) في فراغ رهيب وخوف من مستقبلها، كونها تعبّر عن نفسها فقط، وتجيد الازدراء والسخرية من الذين كانوا سببا في تعاستها وحرمانها منذ الطفولة من الجواب المقنع عن سؤالها المحيّر، وهو: لماذا هي بنت؟ أو لماذا خلقها الله تعالى أنثى؟ ولماذا لم يكن الإله أنثى؟ وهذا التساؤل الذي تسبّب به الذات الإلهية على المباشر في مقابلات إعلامية، وبحضور الجمهور، وانكشاف إبليس الذي وقف أمام الحضرة الإلهية، ويقسم بعظمة الله على عداوة الإنسان. لكن نفسية نوال السعداوي المعقدة وصل بها الحدّ على الاحتجاج على العدالة الإلهية والمطالبة بإعادة تصحيح النصوص الدينية على أنّها

جائرة، وظالمة يجب حذفها وإزالتها. ونحن نعرض هذه المواقف المعبرة عن تعاستها الأبدية، لتقول في كل بداية كتاباتها، بأنها لا تجيد كتابة المقدمات، ويمكنها أن تكتب قصة من ألف صفحة. وهذا التصريح تريده أن يصبح أسطورة لامرأة تتحدى الكون بأسره، لأنه أوجدها خالقها على شكل أنثى، وقد كانت آلهة صاحبة معرفة وحكمة، استطاعت أن تجعل الرجل يطيعها، ويعصي خالقه، واستطاعت التغلب على الشياطين، حتى إبليس نفسه.

بالمقابل؛ كانت تجيد وصف مآسي المرأة وقهر مجتمعها لها، بوصف دقيق جدا، كما كانت حريصة على الاهتمام بالجنس الأنثوي ومعاداة الجنس الذكوري في أغلب الأحوال، عندما تقول: "كَانَ اهْتِمَامِي يَتَّجِهْ أَكْثَرَ نَحْوِ إِنْقَاذِ أَجْسَادِ الْبَنَاتِ وَعُقُولِهِنَّ، وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِي؛ لِأَنِّي امْرَأَةٌ وَطَبِيعَةُ عِشْتُ بِجَسَدِي وَعَقْلِي مَأْسِي النِّسَاءِ"⁽¹¹⁾، شَكَّلْتُ بَعْضُ تَأْوِيلَاتِ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ أَبْعَادًا عِدَّةً لِقَضِيَةِ الْمَرْأَةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ؛ فَانْحَدَرَتْ مِنْهُمَا مُحَرَّمَاتٌ وَمَحْظُورَاتٌ تَوَارَثَتْهَا الْأَجْيَالُ، حَتَّى اسْتَحَالَتْ إِلَى قَوَاعِدِ مُجْتَمَعِيَّةٍ ثَابِتَةٍ أَدَّتْ إِلَى هَضْمِ حَقِّ الْمَرْأَةِ، وَهَتْكِ خُصُوصِيَّاتِهَا الْجَسَدِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ، وَفَرَضِ أُسُسٍ فِكْرِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ واقتصاديةٍ قَسَمَتْ الْمَجْتَمَعَ إِلَى أَسْيَادٍ؛ وَهُمْ الرِّجَالُ وَكِبَارُ الْمَلَائِكِ، وَأَشْيَاءٍ؛ وَهُمْ النِّسَاءُ وَالْعَبِيدُ وَالْحَيَوَانَاتِ. هَكَذَا أَجْمَلْتُ نَوَالِ السَّعْدَاوِيِّ مُعْضِلَةَ الْمَرْأَةِ، مُرْجِعَةً إِلَيْهَا إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الصِّرَاعُ مَعَ الْجِنْسِ الذَّكَوْرِيِّ الَّذِي سَلَبَهَا حُرِّيَّتَهَا فِي الْاِخْتِيَارِ؛ فَكَانَتْ تَحَسُّ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ بِالْيَأْسِ وَالْحَرَمَانِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْهَا الْجَسَدِيَّةِ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ تَصَوُّرَاتُ نَوَالِ السَّعْدَاوِيِّ، فَسَوْفَ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهَا سَتَخْرُجُ بِطَابَعٍ دِرَامِيٍّ مَهِيْبٍ، نَحْوُ التَّرْكِيزِ عَلَى الْبَعْضِ مِنْهَا فِي الْعَنْصَرِ الْآتِي:

5. الأفكار الأساسية التي تضمنتها أعمال الناقدة نوال السعداوي:

يمكن التركيز في بعض عناصر كتاباتها، على حضور المرأة الفكري والديني والأخلاقي والنفسي والثقافي والأدبي، وحتى السياسي، التي سرعان ما تحوّلها إلى روايات ليست فيها خاتمة للتشويق أكثر، وعلى أنها هي البطلة في تلك القصة، مثلما كتب الفيلسوف اليوناني أفلاطون عن أستاذه سقراط في المحاورات. وبشكل ملفت للانتباه بعناصر براقعة، تذكر لنا مثلا: "الإلهة الأنثى والمعرفة؛ فهي تتحدث عن المرأة المصرية القديمة التي كانت لها سلطة المعرفة والحكم معا، وكان الرجل حينها في عصمتها، ويطلب الحماية منها من كل الانقلابات التي كانت تحدث في العصر الفرعوني القديم، أثناء صراع الآلهة فيما بينها. ثم تعود للحديث في عنصر آخر من القصة، فتقول: "المرأة قبل

أن يُلدها آدم". حيث تناولت فيه قصة الخلق، ضمن أسطورة تقدّم الأولوية للمرأة على الرجل، ولم تبرح حديثها عن المرأة، حتى تطرقت إلى السلطة الأبوية، وقامت بتسمية العنصر "جزر أمومية في محيط أبوي"، ثم لتعود إلى المرأة المصرية القديمة، لتظهر "مولد الازدواجية الأخلاقية"، "وتحرير العبيد لم يحرر المرأة"، ثم إنّ هناك "مناخ إيجابية للمرأة العربية". وإبراز ملامح المرأة في الأدب العربي، ومنها "المرأة في الملاحم الشعبية العربية"، ثم التعمّق في مسألة "الشرف و الدم في عصرنا الحديث"، وسبب الخطيئة الآدمية.

وفي عنصر مهم من كتاباتها؛ فقد عرضت هذه الروائية المبدعة عن تواجد المرأة العربية، من منطلق الزعامة في شؤون الحياة؛ أي القدرة على صناعة مستقبلها بنفسها، لكن سرعان ما تعود إلى الحديث عن قضايا المرأة في المجتمع العربي، وتخلص في النهاية إلى وجود لا عدالة تمنع المرأة من نيل حقوقها أمام ظلم المجتمع الذكوري لها. كما تلقى معاناة بعد الزواج (تحكي عن نفسها، وتمثل النسوة على تلك الشاكلة)؛ فهي تعيش في نظرها الحرمان والقهر والظلم من خلال القوانين الاجتماعية والدينية المفروضة عليها. وعنونت الصورة السيئة عن المرأة، بالعدالة التي ليست عادلة، في ظل "اللاأخلاقية في القيم الأخلاقية للمجتمع الذي تعيش فيه حياة المذلة والاعتداء، والتمهيش، وتحتّم الكتاب بالحديث عن القضايا الاجتماعية التي تجعل المرأة قابعة في مشكلة التمييز الفردي الذكوري، ولا هم لها إلا تربية الأولاد دون أن تعطى لها الفرصة في المشاركة إلى جانب الرجل في تحصيل السعادة المرجوة.

المهم في هذا الكتاب، تصور لنا الناقدة نوال السعداوي، تلك المرأة العربية التي لم تبرح مكانها، ولم تصل بعد إلى الحصول على الحرية اللازمة لها، كي تكون امرأة إيجابية لها دورها الاجتماعي والثقافي والحضاري، نتيجة عوامل عديدة منها: تسلط المجتمع العربي الذكوري على الحياة العامة للمرأة، فهي تعيش تحت وصايته، وهذه الحقيقة مزعجة للناقدة المصرية الراحلة دون نتيجة، يجب المطالبة بالتغيير الجذري للقيم الأخلاقية لأنها أصبحت لا أخلاقية، والعدالة غير منصفة في حق المرأة في الحياة بكرامة.

6. تساؤلات نوال السعداوي حول أسطورة وجود المرأة:

تشيد في البداية؛ الناقدة الراحلة نوال السعداوي بالمرأة القديمة كانت أسطورة زمانها، بحيث تدل على أنها هي مصدر المعرفة، "فقد كانت هي الخالقة والفاعلة... أما الرجل فقد كان المفعول به".⁽¹²⁾

ولسنا ندري من أي المصادر استلهمت هذه الروائية المبدعة عن حادثة خلق آدم عليه السلام، حتى نثبت أنها تناصر الحقيقة الدينية، بطريقة أكثر عقلانية، على غرار الحقائق التي تقرّها الأديان السماوية والوضعية معاً، حول قدرة المرأة في تغلبها على القوى الخفية، بهذه السهولة والليونة والتفكير العميق في طريقة تخلص المرأة من كلّ العوائق الحياتية. وهذا التمهيد؛ هو من أجل الرد على الأقوال

التي تشيد بأن المرأة بغير عقل أو ناقصة العقل، في حين أنها كانت في الأصل هي صاحبة العقل و المعرفة، والرجل لم يكن يستطيع أحد أن يرد على سؤالي: لماذا اختفت الإلهة الأنثى من تاريخ الإنسان؟ ولم يعد إلا الإله الذكر في الأديان السماوية الحديثة؟⁽¹³⁾، ونحن بهذا التساؤل عن سر الاختفاء، نحيل الجواب لأي شخص بسيط، أو طفل برئ، لنجد عنده اليقين، بأنّ الحقائق التي تناولتها هذه الناقدة؛ ما هي إلا تصوّرات من نسيج خيالها، ولا علاقة لها بالحقيقة الدينية أو العلمية، أو الأدبية وما شابه ذلك. إذا أردنا أن نتقصى الحقائق الهامة، من أجل أن نصنّف تصورات الناقدة نوال السعداوي، في أي حيّز أو مجال تعرض لنا مثل هاته الأفكار، حول حقيقة اختفاء المرأة عن الوجود. ثم نترك للقارئ؛ مواصلة تفاصيل حديثها عن سبب اختفاء ألوهية المرأة التي تغلبت على الشياطين.

ولنا أن نتخيّل، موقف النبي عليه الصلاة والسلام، وهو يناقش ربّه عن هذا الأمر، ليلة الإسراء والمعراج؛ حيث استحي من ربّه أن يخفف له في الصلاة المكتوبة، بعد إلحاح النبي موسى عليه السلام، بحجة أنّ أمّته، لا تطيق. بينما كان النبي عليه السلام حريصا على الطاعة المطلقة لله تعالى. فهل نتصوّر أخلاق النبيّ تسمح له بمناقشة خالقه؟ أو مناقشة أبونا آدم عليه السلام عن قصته مع أمّنا حواء حين أتاحت له الفرصة للقائه؟

لقد كانت هذه الناقدة نوال السعداوي، وهي صاحبة المعرفة، بأنّها تفكيرها الموضوعي قادها الى اكتشاف حقيقة وجودية مهمة عن المرأة، ووصلت الى أبعد الحدود بظلم المرأة، وإلّا بقيت في الجنة مثلا دون رجل، أو من وحي الخيال، استطاعت هذه المرأة لو كانت تملك الحرية المطلقة أن تتخذ موقفا عجيبا من الرجل، قبل أن يأتي بها إلى هذا الوجود. ولأنّ عجائب نوال السعداوي لا تنتهي؛ فسرعان ما تقذف القارئ الى موضع آخر، هو أشدّ غرابة من سابقه، خاصة ونحن نتناول تصوّراتها عن المرأة التي يستحيل بمكان أن يصدقها أي متوسّم للحياة دون تواجدها مع الرجل. وها هي إرهاسات مخيلتها تقول: "إنّ المرأة حظيت بمكانة أكبر، وأصبحت المرأة في نظره هي خالقة الحياة، فعبدتها على أنها إلهة الحياة".⁽¹⁴⁾

ونحن نقول؛ في بيت أزهرى، متعلّم، ومتدين، وموحد لخالقه، ومتشبع بالثقافة الاسلامية؛ تخرج بتصورات أسطورية، دوخت كبار الأدباء والمنتجين السينمائيين. ورغم هذه الجرأة المفرطة في تصوّراتها حول مكانة المرأة العربية قبل الاسلام؛ نريد أن ننوّه هنا، إلى نقطة هامة حول رسالة الاسلام الحقيقية، وهي عالميته وقيادته للبشرية عامة، بحيث جاء الاسلام كخاتمة للشرائع السماوية، مع أنه يوجد دين واحد؛ فما جاء به، هو الأمر القاطع بوجود حقيقة دينية واحدة اشتمل عليه الاسلام، وليس كونه تابعا لليهودية والمسيحية، وبالتالي لم

يأت بالجديد المطلوب، ومن هنا؛ كانت النافذة التي تطل عليها الناقدة نوال السعداوي للازدراء من الأديان، على أنها تصبّ في وعاء واحد، الذي هو العداء للمرأة... ولا يمكن لنا أن نعرف مثلاً؛ إلا إذا عرفنا الظروف الاجتماعية والاقتصادية في هذه المرحلة وفي المراحل السابقة لها، وما هي قد أصبحت مؤرخة لتكشف لنا في تاريخ البشرية أنّ مكانة المرأة العالية في المجتمع. ونحن لا ندري أيّ تشريع أخذت منه هذه الناقدة، منصب الألوهية للمرأة في مجتمع من المجتمعات البشرية طوال الحقب التاريخية للحضارات الإنسانية السابقة؛ بحيث يبيّن لنا أسباب حرمان المرأة من مكانتها، حتى تستأنس لنا بأدلة من القوانين الوضعية المبهمة، تعزّ بها عن سخطها عن مشرّع الكون، الذي تعامله بشكل مختلف مع المرأة التي كانت نقطة تحوّل في نظر نوال السعداوي، وهو ما سنوضّحه في العنصر الآتي:

7. نقطة تحول المرأة في نظر نوال السعداوي:

لقد اتّضح لهذه الناقدة في الأدب؛ أن ترى هذه المرة بنظرة اقتصادية لسبب تحوّل مكانة المرأة من السيئ إلى الأسوأ؛ بحيث اندهش العالم بأسره من قدرتها على التحليل الاقتصادي كذلك، بعدما هاجمت القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي حرمت المرأة من ألوهيتها في فترة تاريخية غابرة، و للقارئ؛ الحق في أن يحلل ذهنية هذه المبدعة في التحليل الاقتصادي، بل وربطته بفكرة الاحتكار في جانبه الديني، وقس على ذلك، إبداعاتها في إبطال القوانين الإلهية عن سيادة الرجل على المرأة في شؤون الحياة كلّها. وهي الطيبة المعالجة للأمراض النفسية والعضوية وغيرها.

و ها هي تقول بعبارات ازدراء لم يسبقها أحد من العالمين، لتكتشفوا حجم الغرابة في تصوّراتها فتتجاوز النقد الأدبي والتحليل الاقتصادي الى التحليل القانوني لعصر الظلام للمرأة، حيث أبدعت في الإتيان بالحجج، والاستدلال بالقانون الروماني في تحويل مكانة المرأة من مصاف الألوهية الى مرحلة العبودية، وهضم حقوقها، وزوال سيطرتها على الرجل. وإذ نحن نقدّم الشواهد من كتاباتها حتى لا يُقال بوجود مزايدة ومبالغة في وصف الكارثة الأدبية التي ارتكبتها الناقدة نوال السعداوي في حق المرأة والمجتمع معاً، وهي تتساءل منذ طفولتها، كما تبدأ كتابتها في كل أعمالها على أنها تمارس حقها في النقد والإقناع وقوة التأثير، لتثبت للعقول وللأدمغة : لماذا أنا أنثى؟

وهناك تصريح لها عن وضع المرأة ظلّ أقل من الرجل في الأديان الثلاثة؛ تنتظر فيه من خالق الكون ومشرّع القوانين، أن يضمّ إليه المرأة إلى حضرته، بينما على العكس من ذلك؛ وصف نفسه ﷺ، بأنه لم يتّخذ صاحبة ولا ولد؛ فهو الفرد الصمد الذي أعلى من شأن المرأة المؤمنة الى مصاف التكريم، عكس القوانين البشرية الجائرة التي استدلت بها نوال السعداوي للحديث عن القانون الروماني الظالم لحقوق المرأة في الحياة.

ولا تنتهي عجائب تصوراتها في شؤون الحياة؛ حيث عملت جاهدة على إظهار صورة ظهور الإسلام، "في مجتمع أبوي قائم على الملكية الفردية، وورث الإسلام عن اليهودية العقاب بالرجم في مسألة الزنا".⁽¹⁵⁾ وللقارئ أن يتخيل حجم الإبداع الذي وصلت إليه تصوراتها عن سبب حرمان المرأة من مكانتها الأسطورية القديمة، حتى وصل بها الحال إلى الرجم في مسألة حكم فيها الشرع بذلك. فلم نسمع في أي دين أو قوانين بشرية، تعالت أصواتها في نقد الحكم على مرتكب الكبيرة؛ بينما من منظور نوال السعداوي كما أسلفنا الذكر منذ البداية، أنّ المرأة كانت صاحبة الحكمة، وقد تغلبت على الشياطين، وأخضعت الرجل، فصار طائعا في الوقت الذي وقع فيه آدم عليه السلام في المعصية".⁽¹⁶⁾

ثم تواصل تصريحها الناري؛ وإذا كان الأمر كذلك؛ لم نجد أي نقد لنوال السعداوي هؤلاء الذين تناولوا على المرأة، ومزّت عليهم مرور الكرام؛ بينما ردّت ردا عنيفا منها على ربّ العباد، عن طريق التهجم على الأديان السماوية فقط، والأدلة شاهدة عليها من خلال كتاباتها ولقاءاتها التلفزيونية وغيرها من وسائل الإعلام التي وجدت نشوة عارمة في نقد الشرائع السماوية، في ظل سكوتها على الشخصيات التي ذكرتها، وهي تحين كرامة المرأة كما تقول، وهنا نسأل نوال السعداوي، ماذا تقصد بالقوانين الجائرة في الزواج؟ أي على من تعود؟

هذه المرأة الأسطورية في نظرها؛ كشف عنها تناقضها مع فكرتها السابقة عن حقها في القانون الروماني في تزويج المرأة، وتحويلها إلى عبيد بعد أن كانت تحظى بمكانة الألوهية في زمن سابق، فلماذا اختارت نوال السعداوي الزواج رغم أنها تملك حريتها وإرادتها، مع أنه يمثل بالنسبة إليها عبوديتها للرجل؟

ولنا بالمثل أن نتصور المرأة اليوم، وقد منح لها حق الخلع، أن تكون سريعة الانفصال عن الرجل، بحيث ظهرت أرقام مرعبة في حالة الطلاق من جهة المرأة، أكثر مما هو من جهة الرجل. ثم تدّعي نوال السعداوي أنّ المرأة تملك قوة الشخصية في الاختيار، لكن سرعان ما تجد نفسها في الضياع والتشتت الأسري، فهل هنا؛ نتهم الرجل بأنه كان سببا في زوال الأسرة وضياع الأولاد؟ ولماذا لا نتهم نوال السعداوي المرأة بأنها غير قادرة على الاستقلالية في الحياة الأسرية؟ ولماذا فقدت المرأة مكانتها الاجتماعية؟

في اعتقادها؛ فقد انتصرت المرأة أحياناً وانحزمت أحيانا، إلى أن تمّ إخضاعها حين تمّت سيادة النظام الأبوي بالكامل.⁽¹⁷⁾ ونحن نقول كذلك، أي عندما أتيحت لها حق الخلع، وما جنته من كوارث على المجتمع والأسرة التي تأويها، كان باختيارها وإرادتها، وهي

صاحبة الحكمة والمعرفة القديمة، التي اشتاقت لها نوال السعداوي، فهو في نظرها الزمن الذهبي الجميل الذي كانت فيه المرأة تحظى بالمكانة الرفيعة، حيث كان النظام الأمومي هو المسيطر في تلك الفترة.

8. الدعوة الى تحرير المرأة في تصور نوال السعداوي:

لقد كانت نوال السعداوي دقيقة الوصف للحوادث التي تقع للنساء العربيات في الإسلام: حيث تقول: "وربما هذا هو المبرر الوحيد الذي وجدت فيه هذه الناقدة، تصورها حول أسطورة المرأة التي تحكم الرجال، وتعيد حقها منهم، وقد أتيح لها حق الخلع واختيار حياتها بنفسها"⁽¹⁸⁾، لكنها تعمم على عصر الصحابيات الأطهار، وهي تعيش في زمن التراجع وموت القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية للمرأة العربية. الفارق كبير في إسقاطها في تصوير مكانة المرأة بين الأمس والحاضر دون شك. وعلى هذا يُمكن أن نطرح هذا السؤال: لماذا تساهل الدين مع الرجل كل هذا التساهل؟

ولقد فرضت حسبها؛ سيادة الرجل على المرأة، وإخلاص الزوجة لزوجها حتى لا تختلط الأنساب. وتُخضعه المصلحة النظام الاقتصادي السائد، فقد سيطرت على أجساد النساء، وأصبحت المرأة لا تملك جسدها، وإنما الذي يملكه هو الدولة التي ورثت في العصر الحديث كثيراً من سلطات الرجل في الأسرة الأبوية البدائية"⁽¹⁹⁾ لذلك؛ فإنّ "إهدار الأهلية الآدمية للمرأة، إنما هو اعتداء على أوامر الله، وعلى مبادئ الدين الذي يدعو إلى الحق والحرية واحترام الإنسان"⁽²⁰⁾ وحتى لا تتوقع هذه الناقدة أنّ دراسة شخصية المرأة تتطلب حذف كل ما هو سلبي، نتيجة لضعفها أمام الرجل؛ فهذا تفكير خاطئ حول طريقة استعادة المرأة لمكانتها الأصلية، بتصحيح ومراجعة قيمها الأخلاقية والاجتماعية والدينية والاقتصادية وغيرها، وعلى صعيد واحد. ولأنها ببساطة تملك الوسيلة الوحيدة لإنتاج البشر، منهم الرجل الذي يحميها، كما أنها تقوم بأدوار مهمة داخل المجتمع؛ كأن تكون هي البنت، أو الأخت، أو الأم، والمعلمة والطبيبة وغيرها من الوظائف التي تنفرد بها، لأجل السيطرة على صناعة الحياة للبشر.

9. خاتمة:

نخلص في الأخير؛ بشأن موضوع أسطورة المرأة العربية في تصورات الناقدة نوال السعداوي، على أنها عمل إبداعي فيه الكثير من الشطط، والريبة في اعتبارها كانت جادة في البحث عن الحلول الممكنة للمشكلات النفسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية، بالطريقة التي سلكتها هذه الأدبية. تارة بالسخرية والازدراء، وتارة بالسخط والتنمر من وضعيتها هي نفسها، كمتقفة لها هواجس، لم تستطع التخلص منها. وعليه أرادت أن تترك لنا بصمة فنية قريبة من الجدل العقيم، والحقائق التي لا تنفع المرأة في عصرها الحالي من النهوض لأجل استعادة مكانتها، كونها صاحبة الحكمة والمعرفة عبر حقبة تاريخية ممتدة، ثم تحاول أن تندب حظها من الوضع الذي آلت إليه، وهي تواجه التحديات على شتى الأصعدة.

كنّا نأمل من تصورات الناقدة نوال السعداوي؛ أن تتحول الى مشروع حدائي إبداعي حول معالجة قضايا المرأة بطريقة موضوعية، كما نأمل أن نجد الأنصار من المعجبين بأعمالها التي امتدت لعقود من الزمن، دون أن نسمع أحد من الجنسين يتبنى مشروعها، إن كتب له التوافق على مستوى النخب الفكرية، ممن كانت لهم صلة بالناقدة التي طالما تتبجح بالحرية والتحرر للمرأة، فيحكى قصة نجاحها كقدوة مميزة في الأخذ بتصورتها حول حنينها للمرأة القديمة التي تجسّد فيها صاحبة الحكمة في حل مشكلاتها بنفسها دون الخضوع للرجل أو المجتمع الذكوري. وعليه، يمكننا الخروج بتوصيات، أهمها:

- إذا أرادت المرأة العربية أن تصبح أسطورة، أن تعود إلى قيمها الأخلاقية والدينية والاجتماعية التي نشأت منها كينونتها.

- الاستعانة بمشاريع بناء، تراعي فيها خصوصيتها ودورها الحضاري في صناعة الأجيال. لأنها تملك القدرة على مجازاة الصعاب أكثر من الرجل.

- المرأة العربية في ذاتها أسطورة، لأنها كانت ولا زالت جديرة بالتقدير في المحيط الذي تعيش فيه.

- لا ترتقي أعمال نوال السعداوي الأدبية الى مصاف الحلول الناجحة، لاستعادة المرأة العربية مكانتها الحضارية، وهي تنتقد القيم والأسس والقواعد والأعراف التي هي في حاجة إليها.

- وجوب الاهتمام بالمرأة العربية منذ نشأتها؛ لأنها تمثل الأسطورة في التحرر، لا كما صورتها الناقدة نوال السعداوي في أعمالها الأدبية.

10. الهوامش:

- (1) نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، م2017. ص18.
- (2) نوال السعداوي، المرأة والصراع النفسي، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، م2017. ص16.
- (3) المصدر نفسه، ص17.
- (4) المصدر نفسه، ص17.
- (5) المصدر نفسه، ص25.
- (6) تركي الحمد، الثقافة العربية أمام تحديات التغيير، دار الساقى، ط1، بيروت، لبنان، 1993م، ص72.
- (7) محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، ط1، مكتبة وهبة، 1988م، القاهرة، ص74.
- (8) تركي الحمد، مرجع سابق، ص14.
- (9) علي شريعتي، ترجمة خليل الهنداوي، مسؤولية المرأة، سلسلة الآثار الكاملة 3، دار الأمير للثقافة والفنون، ط2، 2007م، بيروت، لبنان، ص01.
- (10) المرجع نفسه، ص01.
- (11) السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، ص22.
- (12) المصدر نفسه، ص24.
- (13) المصدر نفسه، ص26.
- (14) المصدر نفسه، ص38.
- (15) المصدر نفسه، ص41.
- (16) المصدر نفسه، ص43.
- (17) المصدر نفسه، ص48.
- (18) المصدر نفسه، ص196.
- (19) المصدر نفسه، ص199.
- (20) المصدر نفسه، ص209.